

توحيد المصطلحات او وحدة الثقافة

ارساء مبدأ مفاده ان الحكم في القضايا الهامة من هذا النوع مستحيل ما لم يعتمد النصوص وانسه يصح ضربا من ضرب التفسير الابدولوجية ما لم يستند الى امثلة تطبيقية واضحة .

المحاولات الداعية الى التوحيد : وصف وتقييم

ان القضية قد طرحت بمجمع اللغة منذ نشاته وطرقت في مقالات وبحوث عدة لن تهتم الا بما وضع منها المسألة وضعا صريحا . ولذلك فاننا نعتبر ان البحوث التي عالجت قضية توحيد المصطلحات لا تتجاوز العشرة ، ان استثنينا مقالات الامير مصطفى الشهابي المنشورة في كتبه المختلفة ، فلقد اشدت الاهتمام بها خاصة من ١٩٥٥ الى ١٩٦١ فيكون المجمع قد خصص معدل مقاليتين سنويا للموضوع . ولقد سبق له ان اعمم بالقضية في دورته الاولى . فهل يعني هذا ان حرصه الجديد على اثارها دليل على ان القضية قد تشعبت حتى اصبحت تنبيه بالخطر ؟ ذلك ما لا يبدو بعيدا عن الواقع . ان اول من نبه الى هذه القضية في المجمع هو المستشرق الايطالي نيلسو وذلك في الجلسة الحادية عشرة من الدورة الاولى للمجمع (٢) ولقد ابدى في ذلك تلمي النجارم (٣) ممسا ادى بالمجمع الى اتخاذ قرارين في الموضوع (٤) .

١ - الاصطلاحات العلمية وانفية يجب ان يقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى .

٢ - في شؤون الحياة العامة يختار اللفظ الخاص للمعنى الخاص ، فاذا لم يكن هناك لفظ خاص اتى بالعام ويخصص بالوصف او الاضافة .

ولقد اردف المجمع الفرارين السابقين بقرار ثالث يتعلق بالتعريب صدر في الجلسة الثالثة والثلاثين من الدورة الاولى وهو ينص : « ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطق بها العرب » (٥) .

ان هذه القرارات الثلاثة الاولى والاخيرة من نوعها تدل على ان المجمع قد تنبه الى القضية ، كما تدل على انها غير كافية لان القضية قد وضعت من جديد واعنى بها مجمعون مختلفو الثقافة

(٢) مجمع اللغة : مجموعة القرارات العلمية

(٣) مجمع اللغة العربية : مجموعة القرارات العلمية ، القاهرة

١٩٦٣ ص : ١٤١ .

(٤) مجمع اللغة العربية : مجموعة القرارات العلمية ص : ١٤٢ .

(٥) نفس المرجع ص : ٨٥ .

ان وضع هذه القضية على بساط البحث يفترض اولا شعور الاختصاصيين العرب من لغويين وعلميين بازمة تلتخص في ان المصطلحات العربية الحديثة في شتى العلوم متنوعة متخالفة ، فيها من الاضطراب والتناقض ما يؤول الى الفوضى المعجبة التي يمكن ان يكون لها اثر على تنظيم علومنا الناشئة وعلى بيدافوجيتنا المتعثرة ومنها على تفكيرنا العلمي ان اخذنا برأي فيه نظر يقول : « ان العلم لغة محكمة البناء » (١) .

والملاحظ ان شعورنا بالفوضى كثيرا ما ينحصر في احساس عام بتلك الفوضى استنادا الى تناقض بعض المصطلحات التي تأتي شاردة في مقالة او اخرى . لا شك ان الدعوة الى التوحيد تبدو في ظاهرها وفي باطنها نزعة علمية مستحسنة هدفها الدقة العلمية وفضاحة التفسير وسحر البيان ووحدة التفكير والثقافة في الامة الواحدة . ولا غرابة ايضا فسي ان تكون الدعوة الى التوحيد مودة من المودات الشكلية التي ترمي من دون ان تشعير الى وضع قضايا خاطئة اساسا فيها من البلبلة ما لا يمت الى قضية التوحيد بسبب .

اننا نعتبر ان احسن وسيلة لمعالجة المشكلة تنحصر في وضع القضية في محيطها التاريخي واللفوي لنتمكن من تحليل مظاهرها واسبابها ولندرك اهميتها كيفا وكما ، وذلك ما يساعدنا على اقرار وجود قضية تسمى قضية المصطلحات ، اذ انه لا يكفي ان تختلف المصطلحات عن بعضها بعضا لنثبت ان الفوضى منفشية في معاجمنا واستعمالنا الحديثة فالتوحيد ليس دائما ضروريا ان كان الهدف منه تجميد اللغة والعلوم بترجمة معينة او بتسمية مفردة دون غيرها . فان كان ضرورة لاسباب يجب اقرارها فما عسى ان يكون التوحيد ؟ وما هي مناهجه ؟ وما هي غاياته ؟

وجوابا على ذلك رأينا من المفيد ان نعالج القضية من خلال عينة واضحة تضبط رأينا وتجنينا الاحكام الامتياطية لصالح التوحيد او ضده ، فلقد استحسننا ان نطبق منهجنا على كل ما كتب في مجمع اللغة العربية في هذا الشأن ، معتبرين في ذلك العامل الزمني الذي يساعدنا على تتبع تطورها عند الجمهوريين . ولا شك ان هذه الطريقة لا تدعو الى الحصر والاستقصاء بقدر ما تؤكد على

(١) لقد قال ذلك الفيلسوف الفرنسي Condillac وهو من الفلاسفة العقلانيين الذين كانوا يقولون بانطباق المنطق على اللغة .

(١٦) الشهابي الاخرى التي زدنا بعينات جديدة ومتنوعة من ذلك مصطلحات النطق التي اختلف فيها مجعما القاهرة وبغداد فلقد اورد مثلا :
Catalyst فهي الاز في المجمع الاول والحفاز في الثاني
Structure فهي التراكب في الاول المبنية والبناء في الثاني
Anticline الحفيرة في الاول والقوبة في الثاني «..» (١٧)

ويشند الخلاف في المصطلحات الطبية والحرفية والعسكرية والعلمية والفنية والهندسية وفي مصطلحات الحشرات والنبات والجيولوجيا والديبلوماسية والسياسة الدولية (١٨) الخ ..

وينسب الشهابي تلك الخلافات الى عوامل نفسانية ومادية متنوعة المظاهر . من ذلك ان « هذا يعمل تلبية لهوى في نفسه وتعشقا لونه رائقة ، ونان يعمل مدفوعا بالفرور وحب الظهور ، ونالت لتجارة وما فيها من كسب المال ، ورايع تلبية لرغبات دول اجنبية تريد بث نفوذها بطريق الثقافة وهم جرا (١٩) .

عولجت القضية حسب منهج مبدئي جديد اعتمده محمد كامل حسين (٢٠) يدعو فيه الى ان يقف المجمع قليلا ليميد النظر في انواعها التي سبق ان وضعها والقرارات التي اتخذها لتبين: نس هذه القواعد كثيرة بتحقيق ما اردناه من خلق لفة قابلية للحياة ؟ (٢١) .

ولقد قاده موقفه هذا الى اعتبار لفة السلف غير صالحة لتأدية العلوم الحديثة والى القول بان مصطلحات لغوية وليست علمية مما يدعو اعتماد التعريب في المصطلحات العلمية الكلاسيكية الدالة على الاعيان ، كذلك كل ما يدل على مصطلح يكون جزءا من تصنيف عام وكل مصطلح عام أصبح خاصا . اما النحت فيجب تجنبه وتجنب كلماته مثل « شيفروي » واحلال « كلويد » محلها لانها ليست غريبة ولا شبه غريبة في الواقع فنكون قد اخترنا بالنحت كلمة ثقيلة ظنا انها اسهل فهمها وفي سبيل التوضيح أصبحت خطأ . والكلويد من اسماء التصورات العلمية الخاصة التي يصح ان تعرب حتما (٢٢) ان دعوة المجمع العربي الى التعريب تفرض اعادة النظر في قرار المجمع في هذه الطريقة لان طرق العرب في التعريب التي اعتمدها لا تتصل بواطننا الصوتية التي تطورت .

ولقد واصل محمد كامل حسين بحثه في محاولة ثانية تركيبية وضع فيها قضية صلة اللغة بالعلوم (٢٣) فهو يقسم اللقمة الى قسمين : لفة التفاهم ، وهي لفة غير محددة ، لها صلة وثيقة بلغة الادب ، ولفة الفهم وهي واضحة لها صلة متينة بلغة العلم التي تعتبر اصطلاحا بصطلح عليه ولا يفترض فيها اطلاقا ان تكون مطابقة لمعاني الكلمات الاولى ، فالأوكسجين الذي يفيد مكون الصدا يمكن ان يسمى بيوجين لو علم في اول الامر انه مكون الحياة .

واعتبارا لما سبق فانه يفترض في اللفظ العلمي ان يكون لفظا لا عبارة وان يستخرج من مفردات اللغات المينة من دون اعتبار دلالاتها الاصلية والا يستقي من الكتب القديمة التي لا نفع فيها بل يجب

(١٦) مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث - الطبعة الثانية - دمشق ١٢٨٢ (١٩٦٥) لا سيما في الصفحات ١٤١ - ١٤٧ .

(١٧) نفس المرجع ص : ١٧٨ .

(١٨) نفس المرجع ص : ١٨٠ - ١٨٨ .

(١٩) نفس المرجع ص : ١٨٨ .

(٢٠) محمد كامل حسين : القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية ، مجلة مجمع اللغة ١١ - ١٣٧ - ١٤٢ .

(٢١) نفس المرجع ص : ١٣٧ .

(٢٢) نفس المرجع ص : ١٤١ - ١٤٢ .

بهمنا ان نعرف اراءهم فيها ولو ملخصة ، لعلنا نستخلص منها ملاحظات عامة للانطلاق بالقضية من جديد . فلقد رأى الشيخ رضا الشبيبي (٦) ان تعدد المصطلحات ناشيء عن المنافسة القائمة بين التركية والفارسية والعربية لا سيما في المصطلحات العسكرية ، ومصطلحات الاشغال والفنون والمدارس والمالية الخ ..

من ذلك ان مصر تستعمل « اليمباشي ، والامباشي ، وحكيهياشي ، وباش مهندس وباش كاتب يقابلها في العراق الرئيس والملازم والريف وكبير المهندسين وكبير الاطباء ورئيس الكتاب (٧) ويكتفي الشبيبي بالدعوة الى التوحيد تجنباً للاشتباه والالتباس .

اما الشيخ محمد الخضر حسين (٨) فانه اهتم بتوحيد المصطلحات الطبية معتمداً في ذلك مناهج العرب . فهو يدعو الى تجنب المصطلحات المشتركة ، منبها الى وجود ذلك بكرة في المعاجم القديمة فيلاحظ « قالوا « الذرب » فساد الجرح وفساد المعدة والمرض الذي لا يبرأ » (٩) ويتجاوز المجمع هذا المظهر الى اختلاف مؤلفين قديمين في مصطلحاتهما من ذلك ان ابن سينا يعتبر البرسامة والنسوة لفظين مترادفين وغيره يطلق الاسمين على مرضين مختلفين (١٠) .

ولقد كان توحيد مصطلحات الرتب العسكرية موضوع بحث الشيخ عبدالقادر المغربي (١١) منبها تقريبا الى ما تبه اليه رضا الشبيبي مؤكداً على معارضة النواتر الرسمية المصرية لتعريب المصطلحات العسكرية على اساس ان المصطلحات العسكرية المختلفة رمز الى الادوار التاريخية التي مر بها الجيش المصري (١٢) .

ولقد كان مصطفى الشهابي (١٣) اول من وضع القضية في اطار اوسع فأرخ لكل المحاولات العربية الرسمية والفردية من ١٩١٩ الى ١٩٥٣ ملاحظا ان الشعور بضرورة توحيد المصطلحات العلمية اصبح في البلاد العربية شعورا عاما . والاراء متضاربة في الوسائل التي يجب التوصل اليها لبلوغ هذه الغاية (١٤) ويعرود الاضطراب حسبه الى الخلاف القائم في شأن الطرق العلمية من ذلك ان كلمة (Amibe) التي سماها النفاضة والتمورة ، قد سميت التمورة في معجم الكرملين وامية عند غيره لان الاسم العربي لا يوافق اللوق اللغوي الذي يصبح في حد ذاته محلا للخلاف (١٥) . مما دعا المجمع العربي الى المطالبة بتكوين لجنة تشرف عليها الجامعة العربية وتولها النول العربية لوضع « معجم المصطلحات العلمية » او « المعجم العربي الاعجمي » الذي يجب ان تنسق مفرداته حتى تكون موحدة .

ولا يفوتنا ان نذكر اننا نجد صدى لهذه الاراء نفسها في مؤلفات

(٦) محمد رضا الشبيبي ، توحيد المصطلحات ، مجلة مجمع اللغة ٨ : ١٣١ - ١٣٥ .

(٧) نفس المرجع ص : ١٣٣ .

(٨) محمد الخضر حسين : طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها ، مجلة مجمع اللغة ٨ : ٣٦٦ - ٣٧٣ .

(٩) نفس المرجع ص : ٣٧٠ .

(١٠) نفس المرجع ، ص : ٣٧٣ .

(١١) عبدالقادر المغربي : حول المصطلحات العسكرية مجلة مجمع اللغة ٩ : ١٦٧ - ١٧٠ .

(١٢) نفس المرجع ص : ١٦٧ .

(١٣) مصطفى الشهابي : توحيد المصطلحات في البلاد العربية مجلة مجمع اللغة ١١ : ١٥٧ - ١٦١ .

(١٤) نفس المرجع ص : ١٥٩ .

(١٥) نفس المرجع .

Subjective Symptomes تخصيص صيغة فعال للأمراض البدائية

مثل صداع ودوار وزحار

Objective Symptomes تخصيص صيغة فعل للأمراض البدائية

مثل برص مسح وحذب

١٢ - توخي ما تسميه المحسنات اللفظية - ما تستنت - في صوغ المصطلحات العلمية :

اعتبار التجانس من ذلك ان تترجم Typical بطبيقتي Humid بومييد و Technique بتقنية .

١٤ - قصر التعريب على مقتضيات الضرورة وتوخي الخفة لا الثقل فيه :

تخصيص التعريب في المصطلحات الكيميائية والمخترعات الحديثة ١٥ - النحت :

استعماله عند الضرورة بعد صدوره ولواقفه كما وكيفا ووضع قواعد منتظمة له .

واعتبارا لما سبق من المحاولات فاننا نستطيع ان نستشف في مواقف الداعين الى التوحيد باعتبار ادراكهم لاسباب الترادف ولطرق معالجته نزعتين تعكسان تصورين لفضية التوحيد التي كثيرا ما تبدو مربوطة بثقافتكم ومؤهلاتهم العلمية ، ولذلك فان اصحاب النزعة الاولى يتميزون بما يلي :

- اعتبار الترادف والبليلة في المصطلحات ناتجين عن الازدواجية اللغوية او عن تضارب - المصطلحات القديمة . انهم لا يميرون اهتماما لاسباب اللغوية والاجتماعية والثقافية التي كانت اساسا لوجود تلك المترادفات مهما كان نوعها .

- معالجة الفضية عن طريق الترجمة المحضة كأنهم يرون فيها احسن طريقة لتوحيد المصطلحات العلمية .

- الافتناع بان ترجماتهم من احسن الترجمات دون اعتبار ترجمات غيرهم (٢٦) ودون النظر في فنيات الترجمة العلمية وشروطها .

- اعتماد الاصول العربية القديمة دون اعتبار ما فيها من نقائص الامر الذي يؤول بهم احيانا الى سلفية لغوية فيها من الخطر على المصطلحات ما يساوي او يفوق خطر مترادفاتنا الحديثة .

والملاحظ ان هذا المنزع ناشيء عن كون اصحابه من احادي للغات ومن الباحثين في القديم الذين ليس لهم صلة وثيقة بمعرفة اللغات ولا بالعلوم الحديثة ومشاكلها المتنوعة فالنعوة تكاد تنحصر عندهم في نوع من البحث الشكلي الذي لا يتعمق في القضايا عمقا كافيا، ولذلك فانهم يكتفون بافراء القديم ولا يخوضون في قواعد المجمع مثلا في هذا الميدان وذلك على ضوء المقارنة بين القاعدة النظرية وتطبيقاتها العملية . فيبدو ان قواعد العربية الكلاسيكية عندهم صالحة ضمنا لكل زمان ومكان .

امما اصحاب النزعة الثانية فانهم قد عزوا المشكلة لما يلي :

- البون الشاسع بين العلم في اللغات الاوروبية وفي اللغة العربية .

- الخلط بين لغة الاداب والانسانيات ولغة العلوم .

- دور العوامل الثقافية والنفسانية الشخصية من ذلك معنى النوق والفرور والتجارة والاستعمار الثقافي الخ ..

ولقد راوا من المفيد ان تعالج القضية كما يلي :

- الاتفاق على منهجية عامة ولو كانت اجبارية تصبح ميارا يحدثنى لمواجهة البليلة في المصطلحات العلمية .

اعتماد التعريب والاكثر من التأليف لخلق الاسلوب العربي الحديث .

ولقد نهج احمد عمار (٢٤) منهجا مختلفا في مظهره الصام فاعتبر ان فضية التوحيد مربوطه بوضع مناهج منظمة مصنفة تضمن للعلم بالعربية وحدته التعريبية والتعريفية التي يعين اهم من التوحيد الذي يمكن ان يكون مضرا احيانا ولقد وضع خمسة عشر مبدأ ندرتها بسواهدنا .

١ - مضاهاة الافراد اللفظي بمثله (٢٥)

Aphasia ترجمت باحتياس الكلام ، وامتناع النطق ، ونعذر النطق ، ويحسن ان نترجمها « الصمات » .

٢ - افراد المصطلح الواحد بترجمة واحدة وفصرها عليه : Therapie ترجمت بالمداواة والنظيب والمعالجة والعلاج ويحسن ترجمتها « طباط » .

٣ - مقابلة المترادفات بامثالها : يعبر عن مرض اسل Phtisis , Consumtion , Tuberculosis ويمكن ان نقابلها بالندرن والسل والسحاف .

٤ - مقابلة التعدد اللفظي : يجب اعتبار المترجمين العامية والعلمية - تترجم Blackeye بالعين السوداء وبالقضاء .

٥ - تجنب الأغراب وكذا الابتذال في غير ضرورة ملجئة : Sabre Shine ترجمت ترجمة غريبة بالطبوبي اطلع ويستحسن ان نترجم بانقصية الحسامية .

Plain muscle ترجمت ترجمة مبتذلة بالفضلة السادلة ويستحسن ان نترجم بالفضلة الفغل .

٦ - توخي وضوح الدلالة وتجنب ابهامها : Sporadiccases ترجمت بالحالات المنتشرة وهي تعني الاصابة بالمرض على نحو فردي لا جماعي وفي اماكن متباعدة ويحسن ان تترجم « بالحالات المتفرقة » .

٧ - توحيد ترجمة المصطلحات المشتركة بين مختلف العلوم : Crisi ترجمت بالبحران في علم الامراض وبالازمة في الطب الباطني .

٨ - مراعاة صلات ارتباط الاشتقافي والتصريفي والمعنوي بين المصطلحات :

Trophy الواردة في Trophic nerve و Trophic disturbance و Dystrophy و Atrophy و Hypertrophy قد ثبتت مختلفة الترجمة وهي عصب الاغذاء ، حثل ، سفل ، ضمور ، ضخم

٩ - الترخيص في التحلل من القديم اذا لم تتوافر صلاحيته للاستعمال الاصطلاحي الحديث :

مثال ترجمة Nulli Para ترجمت بالمنجات المبرة (لان المبرة كثيرة الولد) .

١٠ - التزام التخصيص في الاصطلاح العلمي بايثار الالفاظ النادرة التداول او المحودة الصيغ :

Peripheral Nerves ترجمت بالاعصاب المحيطة ويستحسن ان تترجم بالاعصاب الحنارية .

١١ - التوسع الى اقصى المدى في تطويع اللغة للاشتقاق مما انتفى ضرره بكيانها :

تطبيق مبدأ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

١٢ - زيادة تطويع الاشتقاق لصوغ المصطلحات العلمية :

(٢٤) احمد عمار : دعوة الى التزام منهجية في صوغ المصطلحات الطبية ، البحوث والمحاضرات ١٩٦٠ - ١٩٦١ ص : ٤٥ - ٥٦ .

(٢٥) ان جميع المبادئ المطردة من وضع احمد عمار كذلك اغلب الامثلة التي تعين تطبيقا لها .

- اعتماد الترجمة أو التعريب اطلاقاً أو تخصيص ميدان كل واحد منها بحسب العلوم .

- الاعراض عن النحت عامة الا عند الضرورة الملحة .

- ترك الكتب القديمة بتمامها او الاخذ منها بجزء .

- التوحيد لا ينشأ عن الترجمة وفيها بل عن وجود نظريات علمية عربية تؤيد التأليف وتؤازر الانتاج وتنسق المعارف في نظام عام موحد مثلما هو الشأن في العلوم الأوروبية وغيرها .

والملاحظ عندهم ان المترادفات يمكن ان تكون احيانا ضرورية في وصف بعض الامراض مثلا . ان هذا المنزع مهم لانه زودنا بمعلومات جديدة تدل على تطور التفكير العربي تفكيراً ايجابياً في شأن مسألة العلم عامة ، لان قضية توحيد المصطلحات جزء منها . وهو يفيد ايضا أن المنهجية اصيحت عند الباحثين العرب اساساً جوعربياً . فلقد وصلوا الى ارساء طرق مفيدة في جميع الميادين هي على قدر ما توفر للاختصاصيين من جمع بين معرفة لغات كثيرة منها لغتهم وبين العلوم الحديثة المختصة . ان نبلور الفقيه نسبياً ناشيء عن حل جزئي من الازمة التي ما زالت قائمة باعتبار مناهجهم الوصفية البحتة والجزئية اذ انها كثيراً ما تضع معايير لا يمكن ان تطبق على جميع العلوم وفي جميع الحالات . وهذا راجع الى انه لم تتوفر لدينا اكثر معطيات القضية المطروحة وان كان يصعب اطلاقاً ان نصل الى الطريقة المثلى التي تساعدنا على حل مسألة المصطلحات حلاً حسابياً .

فما هي المعطيات المطلوبة للوصول الى مناهج نسبية مفيدة تقلل من المترادفات وتوحد الثقافة التي تربطها عالية فيها من التفتح على نفسها اولا وما يضمن لها التفتح على غيرها والدوام في الخلق والابتكار ؟

معطيات القضية العامة :

لا بد لنا ان نعالج القضية حسب مواقف نظرية اجماعية عامة وذلك ما يحتم علينا الا ننظر الى توحيد المصطلحات كقاية في حد ذاتها والا استحال الدعوة الى التوحيد الى تجريد واصبحت ايدولوجية طافية تطلق الاحكام الاعتباطية وتقوم عرقلة في وجه كل تجديد . فنظن نجتهد في المنهج دون ان نجدد في العلم ولذلك وجب علينا ان نضع القضية في محيطها العام وما له من صلة بالحالة الاجتماعية اللغوية وبنشر المعرفة على جماهيرنا الشعبية ولذلك لا بد لنا ان نتمتع ما يلي :

١ - الوصف والتقييم :

لقد كثرت المجامع وتعددت المؤتمرات في العالم العربي وتنازعت المؤلفات والآراء . وهو امر ايجابي يدل على يقظة ساهمت فيها المؤسسة والافراد مساهمة هامة في تطوير العلم باللغة العربية لكننا لا نعرف الى يومنا هذا ما هي وشيجة العلم بالعربية وما هي فروعه ؟ فاننا نلاحظ في غالب الاحيان ان الكثير منا يكرر دون تجديد اعمالاً سبق ان ساهمت بنجاح في اداء قسط وافر في نشر المعرفة الحديثة الصحيحة كما نلاحظ ان كثيراً من العلوم الاساسية لم تطرق في العربية ولم تدخل في حسابنا العلمي فضلاً عن العلوم التي نقلها ونوّل فيها بعد مدة طويلة تجعلها لا تصلح في العلم ولا في البيداغوجيا . اننا نهمل مثلاً ما هي المؤلفات العربية التي وضعت في علم الطب أو في علم اللسنية وما يتعلق بهما من معاجم

مفصلة (٢٧) واعتماداً على هذا لا يمكن لنا ان نطلق الحكم فسي قضيتنا ما دعنا لا نعلم قيمة رصيدنا العلمي . فنحن نحتاج في سبيل الوصول الى غايتنا الى وصف نقدي مفهرس يضبط مصادر العلم في العربية ومراجعته في مختلف العلوم وفي صلتها بعضها ببعض كما أننا نحتاج الى وضع استنولوجية عربية لتقييم المعرفة في العربية قديماً وحديثاً وتربط تلك المعرفة بالظروف الاجتماعية والنظريات العلمية التي كانت اساساً لها .

ان الوصف والتقييم يوحيان لنا ملاحظتين اولهما ان قضية المترادفات في العربية ناتجة حسب نسب معينة عن نزاع القديم والحديث انذرين لا يمكن لنا ان نفضّل منهما الواحد على الاخر دون ان نقارن مقارنسة موضوعية واحصائية رصيدنا العلميين الكاملين في القديم والحديث . لا شك ان هذا عمل جبار لكنه واجب على مؤسساننا وجامعاتنا وعلماننا اذ ان العلم على قدر ما تعد له من نظم يضبط صلاته ونقصانه حتى يكون التواصل والوضوح في فروعه ومصطلحاته . ان المواصلة على وضعنا القديم يجعلنا نشعر اننا لسنا من هؤلاء ولا من هؤلاء لا سيما في مستوى المصطلحات وتلك ذنبه واهية . اما الملاحظة الثانية فانها فرع من الاولى وتفيد ان علمنا ومصطلحاتنا يشاران شاراً كبيراً بما يحيط بهما من ظروف وملابسات ؟ ذلك ان اللغة - وهو علم مخصص اذا فسنا ذلك بمصطلحاته - قد ضيقت بمنطقه وقياسه على تصورنا لوظيفة اللغة وللعلوم عامة وخلطت علينا مصطلحات اللغة التي ظلت متصلة به اتصالاً مجحفاً (٢٨) ولا شك ان الكثير من مصطلحاتنا وليد هذه النزعة التي تطفئ فيها مذهبية معينة على تفكيرنا فتقف عرقلة في وجه الدقة والوضوح . ولقد تنبه الأوروبيون الى ذلك معتبرين ان الحاجة تنمو الى الاعتراف لدورين مثلاً في وضع مبدأ التطور في العلوم لكنهم اسرعوا الى التخلص من مبداه عندما اصبح مذهبية مطلقة تريد ان تكون حلالاً لكل شيء . وخلاصة القول اننا في حاجة ملحة الى الوصف والتقييم على فرار ما فعلنا هنا مثلاً في شأن المحاولات الجمعية المنطلقة بتوحيد المصطلحات حتى لا نتيه في مقبة نقد النقد الذي لن نسلم منه الا اذا وكلنا الى اختصاصيين قادرين في مؤسسات قارة مهمة تتبسع سير العلم في العربية ووضع مؤلفات تاريخية اجمالية تجنبنا التكرار والاهمال والاسقاط . (٢٩) ان هذا المنهج يفرض علينا ملاحظة المعطيات الثانية وهي :

٢ - الاخذ والعطاء اللغويان

ان النظر في قضيتنا يفرض علينا ان نقر ان اضطراب المصطلحات وغموضها وتكاثرها ليس خاصية من خصائص العربية . فهي قضية موضوعية في كل اللغات وذلك حسب نصيب كل لغة من تراثها ومن العلم الحديث باعتبار انه توجد لغة تعطي ولغة تأخذ ، فالعربية

(٢٧) وضعنا معجماً عربياً اعجمياً يحوي اهم المصطلحات اللغوية الحديثة لعلم اللغة العام مساهمة منا في وصف وتقييم العلوم الحديثة في العربية وسيصدر هذا المعجم عما قريب بالكراريس اللغوية لمعهد الدراسات الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية .

(٢٨) يعود الفضل الى ابن عطاء الاندلسي صاحب « الرد على النحاة » في تخلص اللغة من المنطق الكلامي وان كان قد تصفب بدوره بان وضعها في بوتقة النظرة الظاهرية .

(٢٩) يمكن مثلاً لمعهد اللسانيات في الجزائر المجهز باحدث الآلات ان يرمج اعماله فيحصي لنا جميع مصطلحات الطب في العربية قديماً وحديثاً فيكون بذلك مثلاً يمكن ان ينسج عليه لحل قضية معركة القديم والحديث ولو نسبياً .

المتقدمة . ان مجمع اللغة العربية قد وضع منذ نشأته ما يقرب من
٥٠ ألف مصطلح وهو ما يعادل وضع خمس كلمات في اليوم الواحد
لمدة ثلاثين سنة (٢٥) .

لا شك انه يوجد منسا من يدعو الى التعريب المحض باعتبار ان
اخذنا قليل ومتأخر ، وان الترجمة فائقة مهما كان اجتهادنا ،
فليكن الاخذ معربا لان العلم كوني في مصطلحاته ومفاهيمه فيحسن ان
نستوعب العلم هو ان نتبته في ترجمته . فلا يكفي ان نعالج السوقف
بلعن المنادين بهذا البدأ وذلك باسم مذهبية التوحيد ولو كانت
شكلية ، لان حججهم في سبيل العلم تساوي حجة من يدعو الى
التوحيد بالترجمة دون حصول المعرفة العلمية . ولعل احسن
طريقة في هذا الشأن تتمثل في وجود قوانين تنمي الاخذ كما
وتجود معناه كيفا معتبرة مبدأ هاما مفاده ان توحيد المصطلحات
لا يكون الا بتبئية الاخذ وبتكامله وبمقارنة طرق اخذه ، وهذا ما
يسمونا الى المعطاة الثالثة المربوطة بتبئية الاخذ .

٣ - معنى التقدم العلمي :

ان اضطراب مصطلحاتنا يعكس في الحقيقة موقفنا من تحديد
معنى التقدم العلمي . اننا نلاحظ مثلا ان المرفسية بصفة عامة
والمصطلحات بصفة خاصة لا تزال محل نزاع بين اصحاب القديم
واصحاب الحديث واصحاب الهل الوسط . من ذلك ترجمة كلمة
Biscuit التي وضعت لها ثلاث كلمات وهي : الخشكناك
والبسكويت والملة . اما Pancreas فلقد وضعت لها ثلاث
كلمات ايضا وهي : الحلوة والبقراس والمقعدة . ان هذا الخلاف ليس
ناشئا عن الترادف بقدر ما هو ناتج عن نزعات علمية متنازعة :
النزعة الموسوية التي تنظر الى الحديث من خلال القديم ، والنزعة
الوطنية الانليمية التي ترضى بالقبوض على حساب القديم والحديث .
فالنزعة الانشائية تكاد تكون معدومة ، فتحسن لا تنظر للعلم الا
من خلال ما عرف خوفا من هوية الفراغ . فلنن توجب النزعة
الانشائية الا اذا عبرت المصطلحات العربية عن مفهوم التقدم العلمي
وتملتت بحدوده ، ومن طبيعة ذلك التقدم الا يخضع لمنطق عقلي يفرض
تواصل المعرفة وترايط تقاليدها لان العلم يتقدم بطريقة غير متملة
كثيرا ما تتميز بنقص المعارف السابقة (٣٦) فالتقدم العلمي لا يكون الا
بالثورة على العلم القديم في مفاهيمه ومصطلحاته المترابطة بعضها
ببعض .

ان النقد التاريخي يبين ان المعرفة لم تقدم في اوروبا الا عندما
حل اهل التقنيات محل اهل الدين والموسوعيين وقامت الطباعة
مقام الخطاطة . ان مصطلحاتنا ستكون رائدة متناسفة ، ولا اقول
موحدة ، ان عبرت عن مفهوم العلم الذي يعني ترك القديم في جله
على جلاله قدره ، فنتجنب التيه في المعارك الثانوية والثلاثية والرابعة
التمثلة في المترادفين او الثلاثة او الاربعة بالنسبة للمصطلح الاعجمي
الواحد وذلك ما يقودنا الى المعطاة الرابعة وهي :

{ - البحث العلمي :

ان وحدة الثقافة ووحدة المصطلحات رهينة مساهمة ابناء الامة
الواحدة في البحث العلمي وتقدمه . والملاحظ ان وسائل العلم مخلولة
في بلادنا واهل العلم مغبونون بها حتى كادت تطلق عليهم لعنة

(٢٥) رشاد الحمزاوي : مجلة Arabica الجزء ١٥ (فيفري
١٩٦٨) ص ١٠٦ - ١٠٧ .
Pierre LASZLO : Conflits en Revolutions ، انظر (٣٦)
Critique . Bruxelles 1974 .

اليوم تأخذ ولا تعطي ، كما ان الفرنسية تأخذ الكثير من الانكليزية
والروسية مثلا . فالعربية تواجه قضية صعبة لا تنحصر في طرق
الاخذ فحسب بل في اختلاف اللغات التي يترجم عنها العرب اذ ان
الاختلاف لا ينتهي عند لقتين من اصل مختلف بل يتجاوز ذلك الى
التنافر في لقتين من اصل واحد مثل الانجليزية البريطانية والانكليزية
الامريكية مما تدل عليه الامثلة التالية : (٣٠)

المصطلحات الامريكية : Tube Muffler Manifole

المصطلحات البريطانية المرادفة Valve Silencer Exhaustippe

ويهمنا من هذين المبدئين انهما سببان في الخلاف الموجود
بين مصطلحات اللغة الواحدة وفي العلم الواحد كما راينا
سابقا . وتزداد اهميتهما بقدر ما نجدهما اصلا لما نسميه الحلول
الرحلية في وضع المصطلحات التي كثيرا ما تكون على قدر الظروف
الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تقل فيها اصحاب اللغة
الاخلة . فالتعريب قد يفرض نفسه احيانا قبل الترجمة لظروف معينة
كما ان الترجمة تمر بانواع منها المنحط والركيسك والمتوسط
والراقي (٣١) ان لهذه الرحلية اثرا في مصطلحاتنا وتضاربها من ذلك
ديوان رسل العمالات ، وهذه ترجمة رفاة للاصطلاح الفرنسي
Chambre des Deputés ولهذا الاصطلاح عندنا في مصر منذ
عهد محمد علي حتى اليوم تاريخ طويل . فقد سمي هذه التسمية ، ثم
اطلق عليه « مجلس شورى القوانين » ثم « الجمعية العمومية » ثم
« الجمعية التشريعية » الخ . الى ان سميناها اخيرا بمجلس النواب
كما سميناها « الشمبردوير » بمجلس الشيوخ (٣٢) ومن هذا كثير
في العلوم المختلفة التي استشهد لها احمد عمار كما ذكرنا ذلك
سابقا ولا فائدة في تكرارها .

وفي المسرح نجد ان مصطلح Amateur ترجمت حسب
السنوات ب : غاوي (١٨٢١) وهاوي (١٩٤٧) ومحج ومولع ومغرم
(١٩٦٥) (٣٣) ومصطلح Drame ترجمت بقصيدة (١٨٢١) وتمثيل
(١٩٣٠) وماساة (١٩٤٥) ودراما (١٩٤٨) وفاجعة (١٩٥٦ م)
ومسرحية وماساة عصرية (١٩٥٩) ودرام (١٩٦٥) (٣٤) .

ان هذه النظرية التاريخية تبين ان اللغة العربية اخلة ، لكن
اخذها الرحلي لم يستقر ولم يثبت ولا يمكن ان يكون ذلك ما لم
توضع فيه دراسات تصفه قبل ان تأخذ قرارات موحدة في شأنه .
ومعنى هذا ان التوحيد لن يكون ناجحا اذا كان غاية في حد
ذاته ، اي اذا لم يأخذ بعين الاعتبار هذا التراث الرحلي لان من
الاطياء الكبرى ان نتجاهل هذا التراث الحديث ونضرب بسه عرضي
الحائط فنظن نجتهد في المذهب بوضع مصطلحات اخرى دون ان يكون
ذلك تجديدا في العلم ومصطلحاته .

وفي هذا الصدد ليس لنا ان نفعل عن تأخر اخذنا وقلته ، اذ
لا بد ان نتساءل عن فائدة توحيد الالاف من المصطلحات المأخوذة اذا
قارناها بالالاف المؤلفة من المصطلحات العلمية الحديثة في اللغات

(٣٠) حسن حسين فهمي : المرجع في تعريب المصطلحات العلمية
والفنية والهندسية - القاهرة ١٩٥٨ ص : ٣٧ .
(٣١) جمال الدين الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في
عصر محمد علي - القاهرة ١٩٥١ ص ٢٠٣ - ٢٢٨ .
(٣٢) نفس المرجع ص : ٢١٤ .
(٣٣) عطية ابو النجا : بحث في مصطلحات المسرح وترجمتها
في العربية الحديثة - الجزائر - ١٩٧٣ ص : ٥٦
Recherche sur les termes de Theatre el , leur
traduction en Arabe moderne)
(٣٤) نفس المرجع ص : ١١٨ .

ميتافيزيقية عنصرية مفادها ان عقولهم لم تخلق لتخلق فيما هي وسائلهم من العلم ؟ ان مجموع الاقطار العربية تهتم قليلا بالبحث العلمي وتخصص اقل من واحد في المائة من مداخيلها له (٢٧) والحال انه يعتبر الركن الاساسي لمصطلحاتها ولماعتها السياسية والاجتماعية والثقافية .

ان هذا البحث لن يثمر ولن يزدهر ما لم يعتمد مبادئ التنظيم والتصنيف اللذين يقودان الى وضع النظريات الانشائية المناسبة والى انشاء المدارس العلمية المنافسة والمتسابقة من اجل تنمية المعرفة التي ينشئ عنها القطب المولد الذي تتولد عنه المخترعات وتكثر حتى يصبح انتاجه العلمي يساوي او يكاد تصوراته النظرية . ويتجسم ذلك في تقارب تواريخ المخترعات كما تدل على ذلك الامثلة التالية : « وقد اقتضى العقل ١١٢ عاما ما بين سنة (١٧٢٧ - ١٨٣٩) للتوصل للتصوير الفوتوغرافي ، ٥٦ عاما ما بين سنة (١٨٢٠ - ١٨٧٦) للتوصل للتلفون ، وخمسة وثلاثين عاما ما بين سنة (١٨٦٧ - ١٩٠٢) للتوصل للراديو ، وخمسة عشر عاما بين (١٩٢٥ - ١٩٤٠) للتوصل للرادار واثني عشر عاما ما بين سنة (١٩٣٩ - ١٩٥١) للتوصل للنبيلة الذرية وخمسة اعوام ما بين سنة (١٩٤٨ - ١٩٥٣) للتوصل للترانزستور وعامين لا غير ما بين سنة (١٩٥٨ - ١٩٦١) للتوصل للنقل الكهربائي اللاسلكي الملتحم » (٢٨) .

ولا شك ان العقيدة العلمية وحرية الفكر في جميع ابعادها وفي جميع الميادين ونشر المعرفة الصحيحة بين جميع افراد الامة تجعل من العلم مقسوما مشتركا نساهم في تنميته مساهمة جماعية حتى يصبح تجربة من تجاربنا عملا بالقول المشهور : « اذا اعطيت المرء سمكة تغذى بها مرة واحدة واذا علمته الصيد تغذى كل حياته » (٢٩) وفي انتظار بروز العقيدة العلمية لا بد ان نطرق المطاة الخامسة .

٥ - الترجمة :

يجب ان نقر ان علمنا علم ترجمة وهي صنعة نبيلة يكون توحيد مصطلحاتنا على قدر تصورنا لها ولشروطها . ان الترجمة تقنية من التقنيات الحديثة (٤٠) وليست ضربا من ضروب الادب اذ انها تطورت حتى عوضت الترجمة الاوتوماتيكية (٤١) المترجمين . اما نحن فما زلنا ننظر لترجماتنا من خلال ترجمة مثالية نتصورها توهما ولا ندرکها عملا . اذ ان معظم ترجماتنا سلفية حسنية تؤول فيها الترجمة الى رجم لاننا نجد لها معايير علمية قارة تفصل بين مترجمين خصمين كثيرا ما ينقلبان في خصامهما الى سفسطائيين او الى موسوعيين هما اقرب الى اصمين منهما الى متحاورين في العلم . فالترجمة تفرض ان تضع لها في العربية نظاما تضبط جل

(٢٧) حسن صعب : تحديث العقل العربي - بيروت ١٩٦٩ ص : ١٦٥ - ٢٠١ .

(٢٨) نفس المرجع : ١٦٨ .

(٢٩) نفس المرجع : ص ١٧٠ .

(٤٠) J . A . Vinay et J . Darbelnet : Stylistique comparee du Francais et de l' Anglais - Paris 1958

(٤١) Anthony G . Oettinger ; Automatic Language translation lexical and technical aspect , With Particular reference to Russian , Cambridge Massachusetts , 1960 .

قواعدها (٤٢) اذ لا توجد ترجمة مثالية بل توجد ترجمة ضرورية لا بد منها بحثا عن الدقة والوضوح ، فمن الترجمة ما يكون التريب فطما ، ومنها ما يكون النسخ ويسميه بعضهم المسخ لتادية صور واشكال ذهنية خلقتها عبقرية اللغة المترجم عنها لاسباب اجتماعية وثقافية خاصة بها دون غيرها ، ومنها ما يكون ترجمة حرفية وبها تلحق الترجمة الجانية او التقريبية ، ومنها ما يكون قياسا او مكافاة او مؤلفة فلا يكفي ان نقر مسبقا ان التريب لا يستعمل الا عند الضرورة .

فما هي تلك الضرورة وما هي حدودها ما لم نصفها انطلاقا من الاستعمال والمقارنة والتجربة ؟

ان هذه المعطيات المذكورة على سبيل الاختصاص تبدو بدئية ، ذلك صحيح ، لكنها تحتاج الى بيداغوجية تؤديها وتطبقها . ولا يمكن ان نغير تجاربنا ما لم نربط هذه المعطيات بتجربتنا في ميدانين هامين يتعلقان باختياراتنا وطرائقنا اللغوية التي سرنا عليها الى يومنا هذا في الجامع والجامعات وفي مستوى الافراد .

الاختيارات اللغوية الاساسية :

ان النزعة الى توحيد المصطلحات وبالاحرى الى توحيد الثقافة كثيرا ما تلجأ الى وضع اسس احكام مسبقة تعتبرها مقدمات بدئية يظن اصحابها انها كافية لتكون منهجا مفيدا . ومن تلك المقدمات .

١ - التمهذب اللغوي الذي يربط اللغة بالعقل والمنطق ويهين مثلا بين لغة الانسانيات ولغة العلوم . فيكفي ان ننظم لغتنا كسي ننظم عقولنا وتتحد مصطلحاتنا . وهذا ما يقودنا الى ان نفترض مثلا ان لغة الادب تتميز بالمشترك ولغة العلوم بالافراد . ذلك ما يستلزم اقامة الحجة عليه لان اقرار هذا البداء يستوجب استقراء مظاهر اللغتين واحصاء مصطلحاتهما الفنية حتى نجزم بهذا الراي الذي لم يوجد له تطبيق الى الان في العربية .

ان هذا المنزع كثيرا ما يفود الى البلبلة والى تأييد مبادى اقرار المترادفات في الاداب والانسانيات مثلا . لكنه يتجاهل ان لكل لغة من اللغتين مظهرا عاما ومظهرا خاصا فيه من الابتسذال والغرابة والدقة والوضوح نسب تكاد تكون متساوية فضلا عن ان تكاثر الالفاظ في المصطلحات الفنية الادبية العربية يعود جوهرها الى شيخوخة الادب العربي الذي لم تتجدد نظرياته ولم تتطور او الى الترجمة وما وراءها من فوضى ، فيكفي ان تلقى نظرة على مصطلحات المدرسة الادبية الشكلية لندرک ما انت به من مفاهيم جديدة مضبوطة .

ولنا ان نلحق بهذا التمهذب ما مفاده ان لغة العلم تحتاج الى غرابة لطيفة - ولعلها من نوع اللغة الماورائية metalangue تميزها عن الكلمات العامة عملا بمبدأ الاوروبيين الذين لجأوا الى اللاتينية واليونانية لاستسقاء كلماتهم العلمية منها . لكن يجب ان ندرک ان ذلك القريب اصل في اللغات الاوروبية وان علوم الطب الحديثة مثلا قد اخذت تتخلص شيئا فشيئا من اليونانية واللاتينية اللتين حذفتا من برامج الطب في اكثر الاقطار الاوروبية . ان لغة العلوم بما في ذلك الاداب والانسانيات تستدعي نوعا من الاختصاص

(٤٢) نفس المرجع الوارد في حاشية (٤٠) ص ٤٦ - ٥٤ .

بعضاً . ولذلك فانتنا نعتبر ان ازمة مصطلحاتنا ناشئة عن ضيق حدود استعمالنا وان هذا التضييق سبب من اسباب الغموض والاضطراب والغموض في معاجمنا المصرية .

ان تطوير مفهوم الاستعمال مربوط بتصورنا لمعنى الفصاحة . لكن ما هي الفصاحة عند اللغويين ؟ ان تعريفاتهم النظرية والتطبيقية لها تفيد انهم اتفقوا على ان لا يتفقوا عليها ان اعتبرنا اختلافاتهم الواردة في مظهر السيوطي (٤٤) اما المعجميون فلقد اختلفوا فيها اختلافًا تاريخيًا تدل عليه عناوين معاجمهم ومحتوياتها . فهم لم يسلموا من الوقوع في نفس الخطأ الذي يفر وجود فصاحة مثالية لا يدرك احد معناها ومميزاتها ، كما أنهم ربطوها ايضا بمعنى البداهة والسذاجة ، ولا تزال هذه النظرة مسيطرة علينا ، اذ اننا لا نجد نصوصاً من الجاحظ او العليمين العرب او من الكتاب والصحافيين المشاهير المعاصرين في معاجمنا قديماً وحديثاً . ان تناقضنا واضح بين ما ندعو اليه من وضع مصطلحات تنتسب الى الحدائث وبين ما نقره من مصطلحات متصلة بالبداهة باكثر من سبب . ويبدو ذلك واضحاً بقدر ما نستقرب لو لاحظنا ان المعجم الفرنسي يعتمد في جمع مادته على فلاحى مناطق البروفانس او الالب وفصاحتهم . ان الخروج من هذا المازق يستدعي ان نقر ان الفصاحة فصاحات : من ذلك فصاحة القصيدة ، وفصاحة القرآن ، وفصاحة كبار الكتاب والعلماء القروسطيين ، وفصاحة الصحافة ، عوضاً ان نقضي العمر في التأليف في كتب لحن العامة ولحن الخاصة وقل ولا تقل . ان حالة العربية تدعونا ان نعتبر تلك الملاحن تطورات في اللغة وفي فصاحتها . وهي تشمل المستوى الصرفي والنحوي والبلاغي والمعجمي . فان كان ذلك التطور مطرداً ودل عليه الوصف اللغوي وايداه الاحصاء في اغلب الاقطار العربية وجب علينا ان نقر اسس فصاحة جديدة تأخذ بعين الاعتبار ما طرأ على الفصاحة السابقة من تطور وتغيير ولو كان عن القياس الخاطيء . وفي العربية الكلاسيكية من وجوه ما يدل على انها قد استعملته باطراد . ان هذا التصور للفصاحة يربطها ربطاً وثيقاً بالاستعمال فتكون الفصاحة الحية هي الاستعمال ذاته . فلو توفرت كل المعطيات السابقة لوجدنا فيها ما يعيننا على استدراك امر طرأنا اللغوية التي استقرت وبلغت من الاشباع ما لا يمكن تجاوزه من دون ان يكون ذلك لحساب الدقة والوضوح . فيجنح الى طريقة التركيب التي تحشو اللفظ الواحد معاني كثيرة . ولعل ذلك سبب من اسباب وجوه المترادفات والاصداد وان كانت ترجع احياناً الى احوال تطور اللغة وبيئاتها المختلفة .

الطرق اللغوية :

ان هذه الطرق معروفة وهي تنحصر في المجاز ، وكثيراً ما يعني احياء القديم ، وفي الاشتقاق والتعريب والنحت وحيانا اللغة العامية . ولقد قيدت هذه الطرق بقيود القياس الشكلى . ولقد بينا في هذا الصدد ان اغلب قرارات مجمع اللغة مقيدة مكيلة لاعتمادها القياس المجحف الذي يسترجع باليسرى ما جادت به اليمنى . لقد خصصنا دراسة شاملة لهذه الطرق من خلال تجربة مجمع اللغة العربية (٤٥) لمدة ثلاثين سنة (١٩٣٤ - ١٩٦٤) فوجدناها تحتاج الى تحسين عميق ان لم تكن تحتاج الى اعادة نظر .

(٤٤) السيوطي : الزهر ، القاهرة (بدون تاريخ) (ج ١ - ٢١١)

(٤٥) محمد رشاد الحمزاوي : مجمع اللغة العربية : تاريخه اعماله - تونس ١٩٧٢ م (تحت الطبع) .

لا على اساس القرابة بل باعتبار انعدام وجود العلاقة المنطقية بين الكلمات ومعانيها ، فالاسم لا يطبق على المسمى ، والاسماء لا تعبر عن الاشياء بقدر ما تعبر عن اصطلاح نصلح عليه . فالنتصاق الكلمات بالاسماء ناشيء عن التكرار والعوائد لها عن صلة وثيقة بين الاسم والمسمى . فلو كان كل ما يرمي بصالح صالحاً لساد الصلاح الدنيا . ولذلك قال بعضهم ان كلمة كلب لا تعنى .

فلو اخذنا بهذا الرأي الجديد لاستطعنا ان نثري معجمنا بالمصطلح المتجدد ، عوضاً ان نحمل اللفظ الواحد عبثين : عبء المعنى الحديث وهب المعنى الجديد . وهذا ما يجعلنا نفتقد ان للمترادفات في هذه الحالة سبباً . فهي ليست عبثاً في حد ذاتها . فلا يكفي ان نخلص اللفظة من مترادفاتنا واصدادها حتى نأمن الاضطراب . فالهم في هذه الحالة ان ندرس الاسباب الموضوعية (٤٦) التي خلقتها حتى تساعدنا على تجنبها حسب الامكان اذا لم تكن تصورا مهماً عن تطور استعمالها وادواتها .

ب - الاستعمال او العدالة اللغوية :

ان اهم مبدأ يمكن الاعتماد عليه في هذا الصدد يتصل اتصالاً وثيقاً بموقفنا من الاستعمال في مظهره العام . اننا نلاحظ اننا غير متفقين على وجوه الاستعمال في العربية الفصحى مثلاً . اننا نقر ضمناً بوجود استعمال مثالي ازلي كثيراً ما يكون اسطورياً نريد ان نقيس عليه دون ان نعرف حدوده ومناهجه . اما في الواقع فان لنا استعمالاً في الاختصاص الواحد يستوجب وضع نظام عام نسير عليه . ومن اهم قواعد ذلك النظام ان نقر ان الاستعمال المطرد اساس القاعدة .

ولا يمكن الفوز بذلك الاستعمال الا بالاعتماد على الوصف الذي يقر استعمال الغالب في زمان معين ومكان معين . ولا بد ان يكون الوصف متواصلاً حتى نجد الاستعمال والقواعد وتخلصهما من جمود القياس المنطقي . فلا يكفي ان تبعد العمر في تأليف الكتب في عثرات اللسان عند العامة وعند الخاصة كما فعل الشيخ عبدالقادر المغربي دون ان يكون لها نفع لاننا لم نبحت عن السبب الذي جعلنا نقول الجراة لا الجراة ، والنسر لا النسر ، والخطة لا الخطة ، فهل اللفة لقله مستعملها او لغبتهم ؟ من يمثل الصواب ومن يمثل الذوق ؟ هل لنا حق فيهما وفي تطويرهما ؟

ان المعجمية الاجتماعية (lexicologie) تقر ان كل استعمال مطرد يشهد على ضرورة ، وكل ضرورة تعبر عن حاجات فئة او طبقة من المجتمع ، فالكلمات والمصطلحات شاهداً على مجتمعنا تستوجب من المعجمي ان يقرها لتكون مصطلحات في ميادينها . ولذلك فان المعجم المثالي هو المعجم الذي يقر عدداً من اللفات من اكااديمية وعلمية وادبية وعادية وشعبية وحتى بديهة وما لها من صلة بعلم النفس والاجتماع وهذا يعني انه توجد في اللغة الواحدة مستويات لغوية لها وظيفتها الفنية والاجتماعية . لا شك انه يستحيل عقلاً وتطبيقاً ان نضع للحدادين لغتهم لاننا لسنا موكلين على حرفهم وخصائصها . ويؤسفنا ان نطل مستبدين بتلك اللغة من دون خبرة فيها ودون معرفة لمشاكلها .

ان القضاء على احد هذه المستويات يعني اننا نحكم بالاعتماد على حق اصحابها في التعبير عن حاجاتهم ومشاكلهم . فيكون ذلك النوع من الظلم اللغوي مثل الظلم الاجتماعي وللملها ناتجان عن بضمهما

(٤٦) التضاد في اللغة العربية .

Diaphoretique	:	ممرق ومعرفة
Stupefiant	:	مخدر ومخدرة
Emetique	:	مقيء ومقياة

ان سبيل التوحيد تكاد تكون مستحيلة ما لم تثبت اختصاصات الصيغ. وتزداد القضية تعقدا عندما نلاحظ اعراض المجامع والباطنين عن بعض الصيغ مثل : مفعل التي يمكن ان تعتمد للتعبير عن مصطلحات علم الحساب مثل :

Hexagone	:	مستس
Heptagone	:	مسيب

كذلك صيغة فصول التي يمكن ان تستغل استفلا كبيرا في الكيمياء :

Dialysable	:	خلول
Coagulable	:	خشور
Inflammable	:	لهوب

وما دنا في ميدان التخصص فانه يحسن بنا ان نعتني بالاستشاق الكبير الذي كثيرا ما استعمل للتسلي والتفنن ، اذ يمكن ان يدرس دراسة علمية بنية استعماله في مستوى او ما يعبر عنه بالغريب العلمي عند بعضهم . ان لغة الحنفشار تعتبر رد فعل عنيف على قياس النحويين ودعوة الى اعتبار الارتجال طريقة من طرق الوضع . ويمكن لهذا الرأي ان يطبق على الاستشاق الاكبر باعتباره طريقة من طرق التنمية اللغوية التي تساعد على تفهيم المصطلحات بقدر ما تقلل من طغيان التراكم الذي يعتبر سببا من اسباب الاشتراك في الصيغ والمعاني .

في التعريب نواجه نفس الاضطراب . فلنلاحظ اننا لم نوفق الى يومنا هذا الى وضع خطة موحدة لتعريب الاصوات الاعجمية (هـ) فلقد وضعنا بعض القواعد المقيدة لنقل الاصوات الحديثة باعتماد طرق السلف دون ان نأخذ بعين الاعتبار تطور عواندنا الصوتية لا بالنسبة للعرب فصحب بل بالنسبة للذين نقلنا عنهم قديما والذين نقل عنهم حديثا . ولقد اشتد الخلاف في العلوم التي تستوجب الترجمة والعلوم التي تستوجب التعريب .

ولا شك ان الحل ينحصر في دراسة مقارنة تقوم حكما فصلا من طرفنا القديمة وطرفنا الحديثة وتير لنا السبيل في هذا الميدان . فيمكن لنا ان نستخرج منها قاعدة عامة تسيب زمنيا تقر الميادين التي يجلب فيها التعريب اطلاقا مثلما هو الشأن في علوم الكيمياء .

اما النحت فيكفي ان اشير اني قمت بدراسة مقارنة (هـ) للمنحوتات الواردة في مجمي الكيمياء والفيزياء اللذين جمعتهما المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط . فلأحظت مما لاحظت

ان طريقة المجاز لا تفهيد نغعا ان كانت ترمي الى احياء القديم من اللغة ، وذلك ان علوم القدماء على شرفها لا تعبر في جلها عن علوم عصرنا . فهي تمثل مرحلة مفيدة من علوم الانسان العربي ومعرفته لكنها ليست العلم في ماضيه وحاضره ومستقبله . ان تطابق المعارف يدل على اشتراك ذهني فيه من اعراض الالتباس الفكري ما لا يبشر بخير . لقد بين مصطفي الشهابي بدقة الفرق الشاسع بين محتوى معاجمنا القديمة ومحتوى العلم الحديث (٤٦) ولقد اهتمنا بالقضية ايضا فدرستنا مساهمة مخصص ابن سيده في تطوير العربية (٤٧) لقد لاحظنا في هذا الصدد نوعا من الديماغوجية العلمية التي تنفي بالقديم للتفني او للتفنن دون ان تدرك كنهه ودون ان تستعمله . ان دراستنا التي ركزناها على استعمال مصطلحات ابن سيده في معجم النبات - لاهند عيسى ومعجم الحيوان لامين العلوف ومعجم الالفاظ الزراعية لمصطفي الشهابسي بينت ان الاول استعمل من المخصص (٩) مصطلحات من (٥٨٨٥٢) مصطلحا واستعمل الثاني (٢٥) مصطلحا من (١٤٢٨) مصطلحا واستعمل الثالث (١٩) مصطلحا من (٩٩٩٦) مصطلحا ، ولا حاجة بنا الى التنبيه الى عديد خلافاتهم في هذا الصدد ، اذ اننا قد فرحناء في محله الذي يمكن الرجوع اليه .

ان هذه الدراسة تبين ان الاعتماد على المعاجم القديمة لا يفيد في العلوم . فلا يمكن لنا ان نستغلها استفلا محسودا الا اذا اعتمدنا منهجين متلازمين . ينحصر اولهما في استقراءها استقراء عميقا يجنبنا الحكم لها او عليها بالتخمين وبالنية الحسنه او السيئة . فيمكن اذالك ان نضمن ترتيبها وتصنيفها حسب مناهج علمية تربطها باصول العلم الحديث . اما المنهج الثاني فانه يعتم الاتفاق على ميادين استعمالها الدقيق حتى لا يبقى عرصة للتاويل الذي يؤول بنا غالبا الى الاضطراب والفوضى .

اما الاستشاق الذي يتمثل في الاستشاق الصغير فانه يكون الطريقة المثلى لوضع المصطلحات الحديثة ان اتفقا على نظام يقيد صيغه ويخصصها . ان الصيغ الدالة على الالة والاداة متداخلة متناقضة والصيغ الدالة على الامراض المبدأ والامراض البادية لا تتميز عن بعضها بعضا . من ذلك اننا نستعمل صيغتي فعل وفعل لنفس المرض (٤٨) .

Furunculose	:	دمل دمالم
Graisse	:	شحم وشحام
Eliphantes	:	فيل وفياال
Dermatite	:	ادم وادام

ويمكن لنا ان نجد امثلة كثيرة من هذا النوع في جميع مصادر المبرد والمزيد ، من ذلك ان مصطفي الشهابي والكواكبي ، وهما من سوريا ، يختلفان في الصيغ التي يجب استعمالها - واليسك امثلة (٤٩) :

- (٤٦) مصطفي الشهابي : المصطلحات العلمية ص : ٣٢ - ٤٠ .
(٤٧) محمد رشاد الحمزاوي : مكانة مخصص ابن سيده من المعجمية العربية المعاصرة او مساهمة التراث العلمي العربي في تطوير العربية ، حويلات الجامعة التونسية ج ٩ / ٧ - ٢١ .
(٤٨) مصطفي الشهابي : المصطلحات العلمية ص : ١٥٣ - ١٥٤ .
(٤٩) نفس المرجع ص : ١٠٧ .

(٥٠) مصطفي الشهابي : المصطلحات العلمية ص : ١٦٦ .

(٥١) محمد رشاد الحمزاوي : السوابق والالواق وصلتها بتعريب العلوم ونقلها الى العربية الحديثة ، سيصدر بحويلات الجامعة التونسية واللسان العربي التابع لمكتب التنسيق والتعريب بالرباط .

ان « لا » العربية تستعمل لتأدية السوابق التالية :

Combinaison	A	اتحاد لا لوني
Anharmonique	An	لا توافقي
Synthese assymetrique	Assy	تطبيق لا تماثلي
Inorganique	In	لا عضوي
non metal	Non	لا فلز

uni , Penta - mono - iso - bi	وان ذوو وذات العربيتين تعبران عن
Relai bimetal	مرحل ذو معدنين - ذو فلزين
isochromatique	ذو لون واحد
monochororde	ذات الوتر الواحد
corps pentavalent	ذو الخمس

اما السابقة Anti فلفقد ترجمت ولم تعرب لكن صيغتها مضطربة ، فهي تترجم احيانا بالمضاد والضميد في صديد النيوترينو (Anti neutrino) ومضاد الكلور (Anti chlore) فلفقد تبدلت الصيغة من الكيمياء الى الفيزياء فما هو معيار هذا الاختلاف ؟ لا تعلم عن ذلك شيئا سوى الاضطراب القائم امامنا .

ويعود هذا الاضطراب الى اننا لم ننتبه الى وضع القضية على اسس منهجية قوية وذلك حسب ما يلي :

ا - وضع قائمة في جميع السوابق واللواحق اللاتينية المستعملة في اللغات الاوروبية الحديثة التي نقل عنها اليوم .

ب - استقراء جميع الطرق العربية القديمة والحديثة التي استعملت لنقل البعض منها .

ج - استنتاج قاعدة عامة توحد بين متناقضها وتتكامل ناقصها تمهيدا الى نظام محكم يشملها جميعا .

ويمكن لنا ان نتتبع نفس المنهج فيما يتعلق بمدى استعمال العامية في بعض العلوم لا سيما ما يعبر عنها عن الالبسة والاطعمة

دار الآداب تقدم

عن علاقات الدائرة

رواية بقلم

الياس خوري

صدرت حديثا

٣٥٠ ق . ل .